سلسلة تفريغات شبكة بينونة

وسائل تحقيق الأمن في المجتمع

لسماحة د. سعد بن ناصر الشثري

قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@BaynootnanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغًا لمحاضرة

بعنوان

وسائل تحقيق الأمن في المجتمع

للشيخ

د.سعيد بن سالم الدرمكي

-حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالي أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد.

فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، كل محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة.

إنَّ من أعظم النعم التي ينعمها الله عز وجل على العبد ؛ نعمة الأمن والاستقرار، ففي ظل الأمن تحلو العبادة، يطمئن الإنسان على حياته وعرضه وماله ونفسه ودينه، بل الأمن بجميع أنواعه هو عماد التقدم وعماد الحضارة، ولا يمكن لأي مجتمعٍ أن يزدهر وأن يتقدم وأن يتطور بلا أمنٍ يعيشه، ولأجل ذلك نجد أن الإسلام يحث على تحقيق الأمن بين الأفراد والمجتمعات، فهذا نبي الله عز وجل إبراهيم يسأل ربه الأمن كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾[البقرة:١٢٦] ولاحظ كيف بدأ إبراهيم عليه السلام بطلب الأمن قبل الرزق، وفي هذا يقول أهل التفسير: (أنَّ الأمن وتحقيقه

سبب لطلب الرزق ولتوفير).

ونبينا صلى الله عليه وسلم اعتبر الأمن في البلاد مع الرزق القليل والعافية من أعظم الملك، فقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»(١) هذا الحديث يعلّمنا القناعة، يعلّمنا الرضا، أمنٌ في البلاد، وصحةٌ وعافية، وطعامٌ يسير تقيم به صلبك، فكأنما حُزت الدنيا بما فيها، وفي الحديث كذلك تزهيدٌ للناس في هذه الدنيا وما فيها، هذه الدنيا إنما جعلها الله عز وجل للوصول بها إلى يوم القيامة، الدنيا متاع ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[آل عمران:١٨٥] فلا يغترّ بها الإنسان، بل هدفه تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦] فنحن نحتاج الأمن لكي نعبد الله عز وجل ونوحده.

هذا الأمن إنما يُطلب من الله سبحانه وتعالى، هو الذي يحققه، وهو الذي يوفره، فلذلك المسلم لا يطلبه من غير الله عز وجل، ومن تدبر آيات القرآن وجد منّة الله على عباده بالأمن

من ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[العنكبوت:٦٧]، فالله سبحانه وتعالى هو الذي جعل هذا

---

(١) أخرجه الترمذي: ٢٣٤٦

البلد فيه الأمن والأمان والطمأنينة والسكينة بخلاف ما حوله من القرى التي فيها الحروب والقتل، وانتهاب الأموال والأعراض، أما مكة فق جعلها الله آمنة مطمئنة، لدرجة أنه يُقال: أن الرجل يَلْقَى قاتل أبيه أو أخيه فلا يتعرَّضُ له، جعلها الله آمنة، فتحقيق الأمن وتوفيره نعمة إلهية تُطلب من الله سبحانه وتعالى، فقوله: ﴿جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ فيه إشارة إلى أن الأمن إنما يُطلب من الله عز وجل.

إبراهيم عليه السلام لما دعا، قال رب العالمين عز وجل يحكي أمره: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا آمِنًا﴾[البقرة:١٢٦] فسأل ربه توفير الأمن في هذه البلاد، وقال في موضعٍ آخر: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾[إبراهيم:٣٥] في موضعين من القرآن جاء هذا الدعاء، فاستجاب الله عز وجل دعوة إبراهيم، وجعل مكة حرمًا آمنًا، وقال سبحانه مذكرًا بالأمن الذي هو منته وعطيته: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَـٰذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[قريش: ٣-٤].

فمما سبق نعلم أهمية الأمن في حياة المجتمعات، وأنه منّةٌ من الله سبحانه وتعالى تُطلب منه وحده لا من غيره، وقد بيّن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الوسائل التي تحقق الأمن في المجتمعات وهي كثيرة، نذكر بعضًا منها:

أولًا: أول وسيلة تحقق الأمن في البلاد وبين العباد: الإيمان بالله وتوحيده وعدم الإشراك به، لو تنظرون في لفظ الإيمان من حيث اللغة مشتق من الأمن، فالإيمان أمنٌ وطمأنينة وسكونٌ وثقة، وكلما عظم حظ العبد من الإيمان عظم حظه من الأمن، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[الأنعام:٨١] فكان الجواب: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام:٨٢] هذه الآية لما سمعها الصحابة رضوان الله عليهم شقّ عليهم الأمر؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ وظُلْم نكرة، جاءت في سياق النفي، فتعمّ كل ظلم، والإنسان يظلم نفسه، ويظلم زوجته، ويظلم غيره وأصحابه، وربما ظلم ربه بالذنوب والمعاصي، إذًا لا يسلم أحد، فلما ذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، وأيّنا لا يظلم نفسه؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «ليس ذاك، ألم تسمعوا إلى قول لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣]» ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي لم يخلطوا إيمانهم بشركٍ ﴿أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ أمنٌ وهداية.

هذا الأمن يتحصّل لك على قدر تحقيقك لتوحيد الله عز وجل، فكلما كمل تحقيق الإيمان والتوحيد عندك كلما كمل الأمن لك في حياتك وعند الموت وفي

القبر ويوم القيامة إلى أن تدخل الجنة، وعلى قدر نقصان التوحيد عندك والإيمان ينقص الأمن، ولذلك في اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، فكذلك الهداية والأمن تزيدان بزيادة الإيمان وتنقصان بنقصان الإيمان.

فتحقيق التوحيد بأن تكون عبادتك وأعمالك الظاهرة والباطنة لله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِّ رَبِّ الْعَالَمِين (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣] كل أعمالك لله، لا تعبد إلا الله ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِّ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِّ أَحَدًا﴾[الجن:١٨] لا ترجو إلا الله، لا تذبح إلا لله، لا تحلف إلا بالله، علّق رجاءك بالله سبحانه وتعالى، لا تعلّقه بتميمة، ولا تعلّقه بعرافٍ أو كاهن، فإن ذلك لا يتوافق مع الإيمان: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ فِيمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(١)]، و«مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»[(٢)]، و«مَنْ حَلَفَ بِغَيرِ اللهِ فَقدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» [(٣)]، كلها أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، حَقِّقْ التوحيد يحصل لك الأمن والطمأنينة والهداية.

وحظ العبد من الأمن كما ذكرنا بحسب حظه من الإيمان، والإيمان والأمن مترابطان إذا وُجد أحدهما وُجد الآخر كما أن السلامة مرتبطة بالإسلام، فكان

---

(١) أخرجه الترمذي: ١٣٥

(٢) أخرجه أحمد:١٧٤٢٢

(٣) أخرجه أبو داود:٣٢٥١

نبينا صلى الله عليه وسلم يربط بينهما، ومن ذلك ما رواه الترمذي من حديث طلحة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال: «اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلامَةِ وَالْإِسْلامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ»[١] وفي حديثٍ قال: «اللهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ أَهلَّه عَلينَا بالأَمْنِ والإِيمَانِ» انظر كيف ربط بين الإيمان والأمن، والسلامة والإسلام.

فالأمن لزيم الإيمان وقرينه، والسلامة لزيمة الإسلام وقرينته، ونجد أن النبي صلى الله عليه وسلم يربط بين الإيمان وبين أفعال المسلم مع أصحابه في الأمن، فقال صلى الله عليه وسلم: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»[٢] لاحظ كيف ربط بين الإيمان وبين الأمن، والله سبحانه وتعالى وعد بتبديل الخوف أمنًا في حال تحقيق توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة، قال الله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[النور:٥٥]

---

(١) أخرجه الترمذي: ٣٤٥١

(٢) أخرجه البخاري: ١٠

كم وعد؟ ثلاث:

١- ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

٢- ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾.

٣- ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾.

بشرط: ﴿يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.

ثانيًا: ومن أعظم ما يهدد صرح الأمن واستقرار المجتمعات: الكفر والشرك بالله عز وجل، وقد بيّن الله ذلك بأمثلةٍ في القرآن، فذكر بعض قصص التاريخ وأخبار الماضين، ومن ذلك أهل سبأ كانوا يعيشون في أمنٍ وطمأنينة، لدرجة أن الرجل كان يسافر من قرية إلى قرية لا يحمل هَمَّ الطعام ولا الشراب، يقيل في قرية ويبيت في قرية، طعامه وشرابه معه أينما ذهب، لكنهم كفروا بنعمة الله عز وجل، فبدّل الله نعمة الأمن خوفًا، والرزق حرمانًا، فقال الله مبينًا السبب: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُور﴾[سبأ:١٧].

مكة شرّفها الله عز وجل ببناء بيته فيها، يقول الله عز وجل فيها: ﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾[النحل:١١٢] قرية آمنة مطمئنة، الرزق متوافر، كيف قابلوا ذلك؟ فقال: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ﴾ فما الجزاء؟ ﴿فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُون﴾ فانظر إلى الجزاء

المترتب على الكفر.

هذا السبب الأول: تحقيق التوحيد، تحقيق الإيمان، تحقيق الإخلاص لله سبحانه وتعالى في العبادة سبب من أسباب تحقيق الأمن النفسي، الأمن الاقتصادي، الأمن في المجتمع، الأمن السياسي، كل ذلك يتحقق بتحقيق ذلك المقصد الأعظم.

السبب الثاني لحصول الأمن وتحقيقه في المجتمعات وبين الأفراد: الدعاء

فإن الأمن من النعم، والنعم إنما تُطلب من الله سبحانه وتعالى فهو المُنعم، قال بعض السلف: "تأملت الخير فإذا أبوابه كثيرة" الصلاة، الصيام، القيام، الحج، ذكر الله عز وجل وغيره يقول: "ووجدت أن ذلك كله بيد الله، فأيقنت أن الدعاء مفتاح كل خير" فإذا أردت أي خيرٍ في الدنيا والآخرة فاطلبه من الله سبحانه وتعالى، فإذا أردت الأمن لك ولأهلك ولدولتك ولأمتك الإسلامية فلنجتهد في الدعاء، ومرّ معنا دعاء إبراهيم عليه السلام دعا بحصول الأمن للبلد وقد استجاب الله دعاءه.

نبينا صلى الله عليه وسلم كان يدعو بالأمن، فإذا رأى الهلال دعا بأن يُهلّه عليه بالأمن والإيمان، وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي

وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي»[١] هذا كان يدعو به في كل صباحٍ ومساء، فكان يسأل الله عز وجل الأمن، فالدعاء مفتاح كل خير.

وفي يوم الخندق وما حصل للمسلمين من الخوف حتى بلغت أرواحهم الحلقوم من شدة الخوف، ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾[الأحزاب:١٠] سأل الصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم: هل من شيءٍ نقوله، فقال: «نَعَم، اللَّهُمَ اسْتُرْ عَورَاتنَا وآمِنْ رَوعَاتنَا»[٢] فقالوا هذه الكلمات فألقى الله عز وجل في قلوب الذين كفروا الرعب، وأرسل عليهم الريح وأجلاهم، «اللهم اسْتُرْ عَورَاتنَا وآمِنْ رَوعَاتنَا» كم واحد منّا يقرأ هذا الدعاء ولا يتفكر في هذه المعاني.

والدعاء سببٌ عظيم لنيل الخير، والله عز وجل وعد من يدعوه أن يجيبه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦] وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[غافر:٦٠].

السبب الثالث من أسباب تحقيق الأمن والمحافظة عليه في المجتمعات: أن يرجع الناس في الفتن وفي المُلمّات والنوازل وفيما يهم ويمسّ صالح الأمة في أمنها

---

(١) أخرجه أبو داود:٥٠٧٤

(٢) أخرجه أحمد:١١٠٠٩

وخوفها إلى العلماء الربانيين من أهل الاجتهاد والنظر، الأئمة الراسخين، لا إلى المثقفين والجهلة والعوام، والعامي: هو كل من ليس له علم بالشرع، ولو كان متميزًا ومتفوقًا في علمه الدنيوي، هؤلاء لا يُرجع إليهم في مسائل الحكم الشرعي، قد يُستعان بهم لتصوير المسائل وبيانها لإعطاء الحكم الشرعي، لكن هم لا يعطون حكمًا شرعيًا.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ﴾[النساء:٨٣] أشاعوه ونشروه، قال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلا﴾ فالذي يتكلم فيما يخص عموم الأمة ليس الوعّاظ ولا الخطباء، إنما العلماء، هم الذين يبيّنون الأحكام ويجتهدون؛ لأن هذا من السياسة الشرعية، والسياسة الشرعية مبنية على جلب المصالح وتكثيرها ودفع المفاسد وتقليلها، والحكم والإمارة منوطةٌ بالمصلحة.

فنحن عامة الناس لا نرى ما لا يراه الحاكم ومن معه من أعوان، فقد يرون مفاسد نحن لا نراها، فيطبقون القواعد الشرعية، ومنها: إذا تعارضت مفسدتان دُرِئت الكبرى بارتكاب الصغرى، فيأتي العامي أو المثقف فيرى أن العالِم أو ولي الأمر ارتكب مفسدة، فيقول: هؤلاء قد تجرأوا على شرع الله، هم لم يتجرأوا على

شرع الله، بل أنت الذي تجرأت على ما لا دخل لك فيه، فلذلك لا بد من النظر في مثل هذه المسائل، لا يكون الأمر لأفراد الناس وعامتهم؛ لأنه لا يحسنونه، وإنما لمن آتاهم الله عز وجل البصيرة والعلم.

السبب الرابع: المحافظة على جماعة المسلمين، والسمع والطاعة لمن ولّاه الله عز وجل أمرهم من الأمراء والسلاطين والحكام، الأمن لا يكون إلا في دولة، والدولة لا تكون إلا بسمعٍ وطاعة، وإذا كان الأمير لا يُسمع له ولا يُطاع فلا يمكن أن يكون هناك أمن، من وظائف الحاكم: حماية الثغور والحدود وإقامة الحدود ومنع الظلم، ولو كان هو ظالمًا، لكن وجوده نعمة وفقده نقمة.

ولذلك يحصل من الظلم والعدوان في حال زوال الحاكم في يومٍ ما لا يحصل في سنوات من ظلمه واستبداده، هذا يعرفه من عاين بعض الحكّام الظلمة، لما زالوا وأزالهم الله عز وجل، في ليلة زوالهم حصلت من الجرائم التي انتُهك فيها الدين والعرض والمال والنفس والعقل ما لم يحصل في سنين حكمه كلها، لذلك قالوا: إمامٌ غشوم ولا فتنةٌ تدوم.

ومن ثم جاءت نصوص الكتاب والسنة تأمر بالسمع والطاعة، بل والصبر على الإمام وإن كان ظالمًا، لأن بذلك تتحقق مصلحة المسلمين، يحافظون على أصولهم وعلى مصالحهم، يُحفظ دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم ودماؤهم،

النبي صلى الله عليه وسلم يقول للصحابة: «وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»(١) انظر إلى الوصف، لا توجد أي صلات رحم فيما بينهم، ولا تواصل، بغض شديد، الحاكم يبغض المحكوم والمحكوم يبغض الحاكم، قال الصحابة: أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ».

بل وإن تَعرَّض الحاكم الظالم لظهرك ومالك بأن آذاك اصبر؛ لأنك تصبر على أذىً خاص في مقابل مصلحةٍ عامة، ودرء المفاسد مقدّمٌ على جلب المصالح، لذلك قال صلى الله عليه وسلم: «وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»، قال ذاك الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم: أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعوننا حقنا، ما تأمرنا؟ قال: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»(٢) فنصوص السمع والطاعة لولاة الأمر هدفها تحقيق الأمن في المجتمعات، فلذلك تحقيق السنة فيما يتعلق بالمعاملة مع الولاة يؤدي إلى تحقيق الأمن في المجتمعات.

السبب الخامس الذي يتحقق به الأمن في المجتمع: تحقيق الأخوة الإيمانية بين

---

(١) أخرجه مسلم:١٨٥٥

(٢) أخرجه مسلم:١٨٤٦

(٣) أخرجه البخاري:١٣

أفراد المجتمع، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات:١٠] ولذلك جاءت نصوص الشريعة تعضد هذه الأخوة وتؤدي إلى تماسكها، وشَرَع الله من الأحكام ما يقوّيها، فقال صلى الله عليه وسلم: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» [(١)] وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ». [(٢)]

نهى صلى الله عليه وسلم عن جملةٍ من الأمور تؤدي إلى التباغض وإلى الاختلاف، فقال صلى الله عليه وسلم: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» ويشير إلى صدره صلى الله عليه وسلم ثلاثًا، «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ» [(٣)] انظر إلى هذه الأحاديث، وما جاء في القرآن من النهي عن الغيبة والنميمة والتجسس وتتبع العثرات، كل ذلك لأجل إيجاد مجتمعٍ طيبٍ قويٍ متماسك الأفراد، ينطبق عليهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ

---

(٤) أخرجه مسلم:١٨٤٤

(٣) أخرجه مسلم:٢٥٦٤

مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى». (١)

كذلك الأمر السادس من وسائل حفظ الأمن: تطبيق الحدود الشرعية، وتطبيق القصاص، الذي شرعه الله سبحانه وتعالى، ففيه ردعٌ للمعتدي وكفٌ لأذاه، ومنعٌ لمن يريد أن يتجرأ على حرمات الناس.

الأمر السابع: شكر الله عز وجل على هذه النعمة التي وُجدت، فإنه بالشكر تزيد النعم وتدوم، وبكفرها وعدم شكرها تضمحل وتزول، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد﴾[إبراهيم:٧].

السبب الثامن: ترك الذنوب والمعاصي، فإن الذنوب والمعاصي لها أثرٌ على جميع أنواع الأمن في المجتمعات، وهذا لا ينكره أحد، أذكر لكم حديثًا للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر فيه الذنب وأثره على الأمن في المجتمع، قال صلى الله عليه وسلم: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا» (٢) فارتكابُ الفواحش والإعلان بها من أسباب الإضرار بالأمن الصحي في المجتمع.

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٥٨٦

(٢) أخرجه ابن ماجه: ٤٠١٧

ثم قال: «وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ» هذا يسمونه الآن الغش التجاري، «إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمُؤُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ» فإذا ضاع الأمن الاقتصادي هَلَك المجتمع، إلا جاءهم السنين وهو القحط، وجور السلطان عليهم وشدة المؤنة وهو غلاء الأسعار؛ كل ذلك بسبب هذا الذنب.

«وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ» وهذا له أثرٌ في الأمن الغذائي، فإذا لم تمطر السماء لم تنبت الأرض ثمرها، ولم تؤتِ الشجر أُكُلَها، «وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا».

«وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ» فانظر إلى زوال الأمن وكيف ربطه النبي صلى الله عليه وسلم بالذنوب والمعاصي.

فإذا أردنا أن نحقق الأمن فعلينا أن ننهج نهج الإسلام، ولذلك يقول الإمام مالك رحمه الله: "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، وما أصلح أولها إلا الإسلام"، لا نغترّ بالغرب ولا بما عندهم من تطور، فإنها حضارةٌ زائفة، جوفاء، خالية من الأخلاق، خالية من الأمن، القتل عندهم يُحسب بالساعات والدقائق، المقاصد الشرعية الخمسة لا اعتبار عندهم لها أبدًا، يُقتل الرجل لأجل مبلغٍ تافه،

ومن نظر وقرأ في أخبارهم رأى العجب بخلاف بلاد المسلمين.

في بلادنا ولله الحمد والمنة أمنٌ، طمأنينة، وسكينة، أنت الآن تخرج من بيتك الساعة الثالثة أو الرابعة، تذهب إلى المستشفى إلى الطوارئ، ما يقف أمامك حيوان وليس إنسان، أمنٌ وراحة، تخرج تصلي الفجر أنت وأولادك الصغار، تمشي في هذه الظلمات التي ترجو أن تكون نورًا لك يوم القيامة، ما يتعرض لك أحد، عندك طعامك وشرابك ليس ليوم، وإنما لشهر ولسنة، عندك صحة وعافية.

فلنحمد الله على هذه النعمة التي نحن فيها، ومن أراد أن ينظر إلى هذه النعمة، وللأسف لا يشعر بالنعمة إلا من فقدها انظر إلى ما حولنا من البلدان التي انقلبت نعمة الأمن فيها إلى خوفٍ شديد، لا يستطيعون أن يعبدوا الله، ولا أن يحموا أنفسهم، ولا عقولهم، ولا أموالهم، ولا أطفالهم وأعراضهم، ما يستطيعون، كانوا يريدون الحريات، خرجوا يريدون الحريات، يريدون الأمن والطمأنينة، وقد كانوا في أمنٍ وطمأنينة، لكن ما كانوا يرضون بالذي هم فيه، فانقلبت أحوالهم سوءًا، ولا توجد بلد واحدة من بلدان ما يسمى بالربيع العربي التي طالبت بالأمن وطالبت بالرخاء وطالبت بالحريات وجَدَتْ ما كانت ترنو إليه، لأنها طالبت بأمرٍ غير مشروع بوسيلةٍ غير مشروعة، ولا تُنال الأمور بهذه الصورة.

أخيرًا: الأمن وتحقيقه مسؤولية مَنْ؟

ليس مسؤولية الدولة فقط، مسؤوليتنا جميعًا، من مواطنين ومقيمين، أن نحترم الدولة، نحترم قوانينها، وأن نطبق أحكام الإسلام على أنفسنا أولًا ثم على غيرنا ثانيًا، نلتزم بقوانين الدولة، نسعى إلى صلاحها وتحقيق الأمن فيها، ولا نسمح لأي شخصٍ له مآرب أخرى في تدمير أمننا، فإذا علمنا عنه وجب علينا أن نبلّغ عنه، الأشخاص الذين يحشدون الناس للفكر الخارجي والسفر إلى الدول الخارجية التي فيها الفتن وفيها الصراعات، هؤلاء بلّغ عليهم لأنهم شر، والسبب أنهم يسرقون أطفالنا وشبابنا، ويسرقون ديننا، فإن هذا الشاب الذي يُلبّسون عليه بالشبهات، يقولون له: اخرج، وسنقيم دولة الخلافة الإسلامية، اخرج فإذا متّ متّ شهيدًا، هذا كله تلبيس، يخرج فيذهب إلى تلكم البلاد والبقاع، وربما يُقتل خارجيًا على مذهب الخوارج الذين قال فيهم صلى الله عليه وسلم: «شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ»[1] وهو يظن أنه يُحسن صنعًا، لا نسمح لهم أبدًا بتخريب بلادنا ولا بلاد المسلمين.

فمن علمنا أنه يريد أن يخرّب أمن البلاد علينا أن نبلّغ عنه ولا نخشى في الله لومة لائم، لا تقول: والله هذا لا يجوز، هذا من التجسس، وهذا من الغيبة، وهذا

---

(١) أخرجه ابن ماجه: ١٧١

من الطعن في الآخرين، لا، هذا من نصر البلاد ونصر الدين؛ لأن هؤلاء أثرهم على الإسلام والمسلمين خطيرٌ جدًا، والله كم من أبٍ فُجع بابنه في صفوف المقاتلين مع هؤلاء الخوارج، وهو يظنه أنه في جامعته أو في عمله، ومن ذهب إلى تلكم البلاد علم والله أنهم ليسوا بأصحاب خلافة، وليسوا بأصحاب شرع، وإنما يُقادون كما تُقاد النعاج، يهدمون الإسلام باسم الإسلام.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يمنّ علينا بالأمن والأمان، اللهم أدم الأمن والأمان على بلادنا وعلى سائر بلاد المسلمين يا رب العالمين، اللهم احفظ ولاة أمورنا، واحفظ بلادنا وبلاد المسلمين إنك على كل شيءٍ قدير.

****

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية